كنوز الحكمة
كولوسي 1:2 - 8

- **الدرس السادس**

لا بد وأنك توافق معي بأن الحقائق المعلنة في رسالة كولوسي عن شخص المسيح هائلة وتسبي العقول والألباب. أنا شخصياً أتبارك جداً من هذه الرسالة وأرجو أنت أيضاً أن تتمتع وتستفيد لحياتك. تحدثنا المرةَ الماضية عن الآلام التي عاناها المسيح. وقلنا إنه يوجد نوعان من الآلام: الأول عبارة عن الآلام التي قاساها الرب ولا يمكننا أن نشاركَه فيها.

فقَد تحمَّلَ المُعاناةَ البشريَّة؛ كذلك مُعاناتُهُ باعتبارِهِ ابنَ الله. فهُو الله، لكِنَّه يُعرِّفُ نفسَهُ على أنَّهُ إنسان. لكِن ما مِنْ إنسانٍ تعرَّضَ للألَم والمُعاناة التي تعرَّضَ هُوَ لها. كذلِكَ، فقد عانى يسوع وتألَّم باعتبارِهِ الذبيحَة عن خطايا العالم. فهُوَ حَمَلُ اللهِ الذي يرفَعُ خطيَّةَ العالَم، ولا يستطيعُ أيٌّ مِنّا أنْ يَحْتَمِلَ هذا الألَم إطلاقاً. صَحيحٌ أنَّهُ بإمكانِنا أنْ نستفيدَ مِنْ موتِهِ مِنْ أجْلِنا، ويُمكِنُنا أنْ نُقِرَّ بحقيقَةِ أنَّهُ أخَذَ مَكانَنا، لكِنَّنا لا نستطيعُ أنْ نَحْتَمِلَ ذلِكَ الألَم. فقَد ذَهَبَ إلى الصَليبِ وَحيداً.

من ناحِيَةٍ أخرى، هُنالِكَ آلامٌ احتَمَلَها المسيحُ ويُمكِنُنا أنْ نُشارِكَهُ فيها. هُنالِك المُعاناة مِنْ أجْلِ البِرّ. إذا كُنْتَ ستعيشُ لله، وإذا كُنْتَ سَتُدافِعُ عَنِ الحَقّ، فسوفَ تَجِدُ بأنَّ الناسَ سيتجاهلونَكَ. ثُمَّ هُنالِكَ المُعاناة مِنْ أجْلِ إعلانِ الإنجيل. فإذا لَم تَكُن، عزيزي، مِنَ العالَم، فسوفَ يُبغِضَكَ العالَم. إذا كانَ الإنجيلُ سينتَشِرُ اليوم فلا بُدَّ مِنْ أنْ يُعاني البعض. رأينا السِرَّ، أي الشيء الجديد، وهُوَ أنَّ الله يأخُذُ الناسَ جَميعاً، ويضَعُهُم في جَسَدٍ جَديدٍ يُدعى الكنيسَة. وهذا أمْرٌ لَمْ يَكُنْ مُعْلَناً في العَهْدِ القَديم، لكِنَّهُ مُعْلَنٌ الآن. "وفي النهاية قلنا بأنه يَجِبْ أنْ يكونَ شوقُ قَلْبِ كُلِّ شَخْصٍ يَعْمَلُ مِنْ أجْلِ المسيح - أنْ يَعْمَلَ المسيحُ فينا بقوَّةٍ لتحقيقِ هدفين اثنين: نَشْرِ الإنجيل لكي يَخْلُصَ الناسُ؛ وبناءِ الناسِ في الإيمان. هذانِ هُما الهَدَفانِ اللذانِ يَنبَغي على الكنيسَةِ أنْ تسعى لتحقيقِهما اليوم.

والآن الى الفصل الثاني من كولوسي. سوفَ نَرى في الأعدادِ الخَمْسَة عَشْر الأولى مِنْ هذا الأصحاحِ بأنَّ المسيحَ هُو الرَدُّ على الفَلسفَة. أمّا بقيَّة الأصحاحِ فيُبيِّنُ أنَّهُ الرَدُّ على الطُقوس. والرَدُّ على الفلسَفَةِ يُخاطِبُ العَقْلَ؛ في حينِ أنَّ الرَّدَّ على الطُقوسِ يُخاطِبُ القَلْب. كانَتِ المسيحيَّةُ وما تَزالُ تُبْحِرُ بينَ بديلَيْنِ كِلاهُما خَطِرٌ. فَمِنْ جِهَةٍ، تواجِهُ المسيحيَّةُ خَطَر التبخُّرِ لتُصْبِحَ مُجرَّدَ فَلْسَفَةٍ - وعِنْدَها ستَغدو بُخاراً. ومِن جِهَةٍ أخرى، فإنَّها تواجِهُ خَطَرَ التَجَمُّدِ في قالَبٍ مُعيَّنٍ وتَغدو مُجرَّدَ طُقوسٍ. وبالتالي، هُنالِكَ خَطَرٌ حقيقيٌّ يَتَهَدَّدُ الكنيسَةَ مِنْ كِلا الجانِبين. لكِنَّ الربّ يسوع يدعو نفسَهُ ماءَ الحياة. فهُوَ ليسَ بُخاراً ولا جليداً - فكِلاهُما لا يَمِدُّ الإنسانَ بأسبابِ الحياة. لهذا، ينبَغي علينا أنْ نَقي أنفُسَنا مِنْ خَطَرِ الانجِرافِ في تيّارِ الفلسَفة أو الانجِرافِ في تيّارِ الطُقوس. فالمسيحيَّةُ هي المَسيح!

كانَ هُنالِكَ خَمْسَة أخطاءٍ تتهدَّدُ الكنيسَةَ في كولوسي، ويتصَدّى الرسولُ بولُس لهذه الأخطاء في هذا الأصحاح. أمّا هذه الأخطاء فهِيَ كالتالي:

(1) كَلِمات التملُّق - الأعداد 4-7
(2) الفلسَفَة - الأعداد 8-13
(3) الناموسيَّة - الأعداد 14-17
(4) التصوُّف - العَدَدين 18، 19
(5) التقشُّف - الأعداد 20-23

وما زالَت هذه الأخطاءُ والأخطارُ قائِمَةً حتى يومِنا هذا. وأعتَقِدُ بأنَّ كُلاً مِنا يستَطيعُ دراسَةَ هذا الأصحاحِ وإعدادَ بيانٍ مُفصَّلٍ بحياتِهِ الروحيَّة؛ فهُوَ سيُرينا الاتِجاهَ الذي نسيرُ فيه. فالكثيرُ مِمَّن يُدْعَونَ مؤمِنين وَقَعوا في خَطَإٍ واحِدٍ أو أكْثَر مِنْ هذه الأخطاء.

من أجل تأملاتنا نقرأ من الفصل الثاني من كولوسي الآيات الثماني الأولى..

1 فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَعْلَمُوا أَيُّ جِهَادٍ لِي لأَجْلِكُمْ، وَلأَجْلِ الَّذِينَ فِي لاَوُدِكِيَّةَ، وَجَمِيعِ الَّذِينَ لَمْ يَرَوْا وَجْهِي فِي الْجَسَدِ، 2 لِكَيْ تَتَعَزَّى قُلُوبُهُمْ مُقْتَرِنَةً فِي الْمَحَبَّةِ لِكُلِّ غِنَى يَقِينِ الْفَهْمِ، لِمَعْرِفَةِ سِرِّ اللهِ الآبِ وَالْمَسِيحِ، 3 الْمُذَّخَرِ فِيهِ جَمِيعُ كُنُوزِ الْحِكْمَةِ وَالْعِلْمِ. 4 وَإِنَّمَا أَقُولُ هذَا لِئَلاَّ يَخْدَعَكُمْ أَحَدٌ بِكَلاَمٍ مَلِق. 5 فَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ غَائِبًا فِي الْجَسَدِ لكِنِّي مَعَكُمْ فِي الرُّوحِ، فَرِحًا، وَنَاظِرًا تَرْتِيبَكُمْ وَمَتَانَةَ إِيمَانِكُمْ فِي الْمَسِيحِ. 6 فَكَمَا قَبِلْتُمُ الْمَسِيحَ يَسُوعَ الرَّبَّ اسْلُكُوا فِيهِ، 7 مُتَأَصِّلِينَ وَمَبْنِيِّينَ فِيهِ، وَمُوَطَّدِينَ فِي الإِيمَانِ، كَمَا عُلِّمْتُمْ، مُتَفَاضِلِينَ فِيهِ بِالشُّكْرِ. 8 اُنْظُرُوا أَنْ لاَ يَكُونَ أَحَدٌ يَسْبِيكُمْ بِالْفَلْسَفَةِ وَبِغُرُورٍ بَاطِلٍ، حَسَبَ تَقْلِيدِ النَّاسِ، حَسَبَ أَرْكَانِ الْعَالَمِ، وَلَيْسَ حَسَبَ الْمَسِيحِ.

هنا نرى المسيح، الردّ على الفلسَفَة (للعَقل). يقول العدد الأول:" فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَعْلَمُوا أَيُّ جِهَادٍ لِي لأَجْلِكُمْ، وَلأَجْلِ الَّذِينَ فِي لاَوُدِكِيَّةَ، وَجَمِيعِ الَّذِينَ لَمْ يَرَوْا وَجْهِي فِي الْجَسَدِ ". كانت لاودكيَّة على مَقْرُبَةٍ مِنْ كولوسي. وفيها كانَت إحدى الكنائِسِ السَبْع المذكورَة في سِفْر الرؤيا ألا وَهْيَ الكنيسَةُ التي وُصِفَت بالفُتور. كَلِمَة "جِهاد" تَعني كَرْبٌ أو أَلَمٌ مُبَرِّحٌ. ويَدعو "ماكفيل" هذه صَلاةَ الجِهاد. فقَد رأى بولُس أنَّ هُنالِكَ خَطَراً كَبيراً يتهدَّدُ الكنيسَةَ في كولوسي وفي لاودكيَّة مِمّا أصابَهُ بألَمٍ مُبَرِّحٍ في قَلْبِهِ. فقَد كانَ المؤمِنونَ هُناكَ يواجِهونَ خَطَرَ الانجِرافِ في أحَدِ اتّجاهَيْن. وما يزالُ هذا الخَطَرُ قائِماً؛ لهذا فَنَحْنُ بِحاجَةٍ للكثيرِ من صَلاةِ الجِهاد مِنْ أجْلِ الكنيسَة اليوم. ولهذا فإنَّنا نَجِدُ كنيسَةَ لاودكيَّة تُعاني مِنَ الفُتور في سِفْرِ الرؤيا: فقَد فقَدوا تركيزَهُم على شَخْصِ المسيح. لكِنَّ المسيحَ هُو الجَوابُ الشافي لعَقْلِ الإنسان؛ كَما أنَّهُ الجَوابُ الشافي لِقَلْبِه.

"وَجَمِيعِ الَّذِينَ لَمْ يَرَوْا وَجْهِي فِي الْجَسَدِ." تَبْعُدُ كولوسي نَحوَ مائَةَ ميلٍ عَن أفسُس القديمة. وحينَما مَرَّ بولُس بِتِلْكَ المَنْطِقَة (وقد قامَ بذلِكَ مَرَّتين)، لَم يأتِ إلى كولوسي ولاودكيَّة. وحتّى عِنْدَما حاوَلَ أنْ يأتي إلى آسيا في رحلتِهِ التبشيريَّةِ الثانية، مَنَعَهُ روحُ اللهِ مِنَ القيامِ بذلك، لهذا فقَد عادَ وَسَلَكَ الطريقَ الشِمالِيّ. ثُمَّ حينَما جاءَ في رِحلَتِهِ التبشيريَّةِ الثالِثَةِ سَلَكَ الطريقَ الشِمالِيّ مِنْ جَديدٍ؛ رُبَّما لأنَّهُ كانَ يَعْرِفُها جيِّداً. ومِنَ الواضِحِ أنَّهُ لَمْ يَزُر هاتينِ المدينَتينِ لأنَّهُ يكتُب قائِلاً: "وَجَمِيعِ الَّذِينَ لَمْ يَرَوْا وَجْهِي فِي الْجَسَدِ." ويُمكِنُ تفسير هذا القول بأنَّهُ يَعني أنَّ الكثيرَ مِنَ الأشخاصِ قَد انضَمّوا إلى الكنيسَةِ مُنْذُ أنْ زارَها لآخِرِ مَرَّةٍ وبأنَّهُم لَمْ يَروا وَجْهَهُ. لكِنَّ هذا التفسير غَيْرُ صَحيحٍ، وأنا أعتَقِدُ جازِماً بأنَّ المقصودَ هُنا هُوَ أنَّ بولُس لَمْ يَزُر كولوسي أبَداً.

عدد 2:" لِكَيْ تَتَعَزَّى قُلُوبُهُمْ مُقْتَرِنَةً فِي الْمَحَبَّةِ لِكُلِّ غِنَى يَقِينِ الْفَهْمِ، لِمَعْرِفَةِ سِرِّ اللهِ الآبِ وَالْمَسِيحِ ". "لِكَيْ تَتَعَزَّى قُلُوبُهُمْ." القَلْبُ يُشيرُ إلى الإنسانِ الداخليّ بجُمْلَتِهِ. فهُوَ يُصلّي أنْ تتعزّى قُلوبُهُم. "مُقْتَرِنَةً فِي الْمَحَبَّةِ" تَعني مُتَضامَّةً مَعاً في المَحَبَّة. فالمَحَبَّة ستوحِّدُهُم. ففي النِهايَة، فإنَّ الكنيسَة لا تتوحَّدُ بالمواهِبِ أو بِما ندعوهُ اليوم بالروحانيَّة. بَلْ إنَّ الرابِطَةَ التي توَحِّدُ المؤمِنينَ مَعاً هِيَ المحَبَّة. إنَّها الخَلْطَة الإسمنتيَّة التي تُمسِكُنا مَعاً - إنَّها صَمْغُ الكنيسَة. "لِكُلِّ غِنَى يَقِينِ الْفَهْمِ." هذا التعبير يَعني أنَّهُ ينبَغي على المؤمِنينَ أنْ يتقدَّموا روحيّاً في مسيرِهِم مع الله. "لِمَعْرِفَةِ سِرِّ اللهِ الآبِ وَالْمَسِيحِ." ما هُوَ هذا السِرّ؟ الكنيسَةُ هِيَ السِرّ؛ فلَم تَكُن الكنيسَة مُعْلَنَةً في العَهْدِ القديم. فقَد كانَ اللهُ عازِما على تخليصِ الأُمَم - وهذا واضِحٌ في العَهْدِ القَديم، وَقَد خَلَّصَهُم. لكِن في يومِ الخَمْسين، بدأ اللهُ شيئاً جديداً. فقَد بدأ يدعو جَماعَةً جديدَةً مِنَ الناسِ إلى جَسَدِ المؤمِنين، وكانَ هؤلاءِ يتعمَّدونَ بروحِ اللهِ في هذا الجَسَد. وهذا هُوَ ما يوضِّحُهُ الرسول بولُس في 1 كورنثوس 12:12: "لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الْجَسَدَ هُوَ وَاحِدٌ وَلَهُ أَعْضَاءٌ كَثِيرَةٌ، وَكُلُّ أَعْضَاءِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ إِذَا كَانَتْ كَثِيرَةً هِيَ جَسَدٌ وَاحِدٌ، كَذلِكَ الْمَسِيحُ أَيْضًا.". أتَرى، عزيزي؟ فقَد كانَ للمسيحِ جَسَدٌ ماديّ حينَما كانَ

هُنا على الأرض، كَما أنَّ لَهُ جَسَداً روحيّاً هُنا اليوم. فالجَسَدُ هُوَ جَسَدُ المؤمِنينَ الذينَ وَضَعوا ثِقَتَهُم فيه، والجَسَدُ يُدعى المسيح. لهذا السَبَب قالَ الرَّبّ لشاول الطرسوسيّ "لماذا تَضْطَهِدُني؟" فقَد كانَ شاوُل يضْطَهِدُهُ شخصيّاً. فالكنيسَةُ هِيَ المسيح - فهي لَهُ.

في 1 كورنثوس 12، يُتابِعُ الرسولُ بولُس حديثَهُ فيقول عَنِ الكنيسَة: "لأَنَّنَا جَمِيعَنَا بِرُوحٍ وَاحِدٍ أَيْضًا اعْتَمَدْنَا إِلَى جَسَدٍ وَاحِدٍ، يَهُودًا كُنَّا أَمْ يُونَانِيِّينَ، عَبِيدًا أَمْ أَحْرَارًا، وَجَمِيعُنَا سُقِينَا رُوحًا وَاحِدًا." (1 كور 13:12). فقَد اعتَمَدْنا جميعاً في المسيح. وسُقينا جَميعاً روحاً واحِداً. هذا هُوَ الشيءُ الذي يؤدّي إلى الوِحْدَة في الكنيسَة. فنَحْنُ لَمْ نؤمَر قَطّ بأنْ نَعْمَلَ وِحْدَةً في الكنيسَة. فمِنَ المُسْتَحيلِ أنْ نقومَ بِدَمْجِ بَعْضِ الهيئاتِ المسيحيّة ونتوقَّع بأنّ هذا سيؤدّى إلى وِحْدَة الكَنيسَة. فالروحُ القُدُس هُوَ الذي يقومُ بهَذِهِ الوِحْدَة. فهُوَ يَضَعُ جميعَ المؤمِنينَ في جَسَدٍ واحِدٍ، أمّا نَحْنُ فمُطالَبون بالحِفاظِ على وِحْدَةِ الروح. ومُشْكِلَتُنا اليوم هِيَ أنَّنا لا نُحافِظُ على وِحْدَةِ الروح هذه. عدد 3:" الْمُدَّخَرِ فِيهِ جَمِيعُ كُنُوزِ الْحِكْمَةِ وَالْعِلْمِ ". كُلُّ ما نحتاجُ إليهِ موجودٌ في المسيح. ليتَنا نتذكَّر ذلِكَ دوماً. فالمسيحُ مَنْبَعُ الحِكْمَةِ والمَعْرِفَة.

والآن، سوفَ يقومُ بولُس بمُناقَشَةِ خَطَأ كَلِماتِ التملُّق. عدد 4:" وَإِنَّمَا أَقُولُ هذَا لِئَلاَّ يَخْدَعُكُمْ أَحَدٌ بِكَلاَمٍ مَلِقٍ ". سوفَ يتحدَّثُ الرسول بولُس عَنِ الفلسَفَةِ وكلامِ التملُّق. فقَد قامَ الكثيرونَ بالاستِعاضَةِ عَنِ الكِتابِ المُقَدَّس بالفلسَفَةِ وعِلْمِ النفس. وهذا هُوَ ما يَجْذِبُ الكثيرَ مِنَ الوُعّاظِ الشَباب في وقْتِنا الحاضِر؛ فالكثيرونَ يعْرِفونَ عَنْ أفلاطون وغيرِهِ مِنَ الفلاسِفَة، لكنَّهُم لا يعْرِفونَ سِوى القليلِ عَنِ الكِتابِ المُقَدَّس. وقد كانَ هذا الخَطَرُ مُتفشِّياً في كولوسي وفي لاودكيَّة أيضاً. وأعْتَقِدُ بأنّ هذا هُوَ ما قَتَلَ الكنيسَةَ في كولوسي، وهُوَ الشيءُ الذي جَعَلَ كنيسَةَ لاودكيَّة أضْعَفَ كنيسَةٍ مِنْ بينِ الكنائِسِ السَبْع في آسيا الصُغرى. فقَد كانَت في أسوأ حالَةٍ روحيَّةٍ، وكانَ الناسُ يعتَقِدونَ بأنَّهُم على ما يُرام. كانَت هاتانِ المدينَتانِ غنيَّتين. لهذا فقَد تفاخَرَ الناسُ وتباهوا بغِناهِم وثراهِم ومَعْرِفَتِهِم أيضاً. لكِنَّهُم كانوا عِمياناً عَن حالَتِهِم الروحيَّة. يقولُ الرسول بولُس: "لا تَدَعوا أحَداً يَخْدَعُكُم بِكَلامٍ مَلِقٍ." أي لا تَسْمَحوا لأيِّ شَخْصٍ أنْ يُضلِّلَكُم بمَعسولِ الكَلام أو بالكَلامِ المُنَمَّق. وللأسَفِ الشديد، فإنَّ الكثيرينَ في وقْتِنا الحاضِر يستَخْدِمونَ هذه اللُغَة المُنَمَّقَة عِوَضاً عَنْ كَلِمَة الله البسيطَة. والرسول بولُس يُحذِرُنا مِنْ أنَّ هذا الكَلامَ المَعسول يَجْعَلُنا نَتْبَعُ شَخْصاً مُعيَّناً عِوَضاً عَنْ اتِّباعِ كَلِمَةِ الله.

عدد 5:" فَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ غَائِبًا فِي الْجَسَدِ لكِنِّي مَعَكُمْ فِي الرُّوحِ، فَرِحًا، وَنَاظِرًا تَرْتِيبَكُمْ وَمَتَانَةَ إِيمَانِكُمْ فِي الْمَسِيحِ ". في ذلِكَ الوَقْت، كانَ الخَبَرُ الذي وَصَلَ إلى سَمْعِ الرسول بولُس هُو أنَّ هذه الكنيسَة ما زالَت صامِدَة. "نَاظِرًا تَرْتِيبَكُمْ." الترتيب أو النِظام يَعني الوَقوف جَنْباً إلى جَنْب. وهذا ما يَنْبَغي على المؤمِنينَ أن يَفعلوه - أنْ يَقِفوا جَنباً إلى جَنْب. لكِن عِوَضاً عَن ذلِك، يُحاوِلُ الكثيرونَ في وقتِنا الحاضِر أنْ يَقضوا على المؤمِنينَ الآخَرين أو يستغلّوهُم. ليتَنا، عزيزي، نَقِفُ جَنْباً إلى جَنْبٍ مؤازِرينَ بَعْضُنا بَعْضاً. "وَمَتَانَةَ إِيمَانِكُمْ فِي الْمَسِيحِ." كَلِمَة "مَتانَة" تَعني أنْ يكونَ لديهِم جَبْهَة راسِخَةٌ غَيْرَ مُتَزَعْزِعَة. وقَد كَتَبَ الرسول بولُس نفسَ هذه الفِكْرَة إلى أهْلِ كورنثوس: "إِذًا يَا إِخْوَتِي الأَحِبَّاءَ، كُونُوا رَاسِخِينَ، غَيْرَ مُتَزَعْزِعِينَ، مُكْثِرِينَ فِي عَمَلِ الرَّبِّ كُلَّ حِينٍ، عَالِمِينَ أَنَّ تَعَبَكُمْ لَيْسَ بَاطِلاً فِي الرَّبِّ" (1 كورنثوس 58:15). وقَد كانَت كنيسَة كولوسي مَعروفَةٌ بثباتِها وصُمودِها، وكانَ الرسول بولُس يُريدُهم أنْ يستَمِرّوا كذلِك ولا يَنقادوا وراءَ كَلامِ البَعْض.

عدد 6:" فَكَمَا قَبِلْتُمُ الْمَسِيحَ يَسُوعَ الرَّبَّ اسْلُكُوا فِيهِ ". ماذا يَعني، عزيزي، أنْ تكونَ مُخلَّصاً، أو أنْ تكونَ مسيحيّاً؟ يَعتَقِدُ البَعْضُ بأنَّ الخَلاصَ يَعني الكَمال، أو التقيُّدَ بالوصايا العَشر. لكِنْ في الحقيقَة فإنَّ الخَلاصَ يعني أنْ تَقْبَلَ يسوعَ المسيح: "كَما قَبِلْتُمُ الْمَسِيحَ يَسُوعَ الرَّبَّ." "اسْلُكوا فيه." والآن، بَعْدَ أنْ قَبِلتُم المسيح يسوع، اسلُكوا فيه، اسلُكوا في الروح. والسُلوكِ مَعَ الرَّبّ لا يُشْبِهُ انطِلاقَ البالونِ أو المِنْطاد. فالبَعْضَ يَعْتَقِدُ بأنَّ الحياةَ المسيحيَّة عِبارَةٌ عَنْ

تَجْرُبَةٍ رائِعَةٍ شبيهَةٍ بانطِلاقِ الصاروخِ في الفَضاء. لكِنَّكَ لَنْ تعيشَ الحياةَ المسيحيَّةَ في الفَضاء، بَلْ ستعيشها في بيتِكَ، وفي عَمَلِكَ، وفي الشارِع. لهذا، يَنْبَغي عليْكَ، صَديقي، أنْ تَسْلُكَ في المسيح.

عدد 7:" مُتَأَصِّلِينَ وَمَبْنِيِّينَ فِيهِ، وَمُوَطَّدِينَ فِي الإِيمَانِ، كَمَا عُلِّمْتُمْ، مُتَفَاضِلِينَ فِيهِ بِالشُّكْرِ ". كَلِمَة "مُتأصّلينَ" تَعني راسِخي الجُذورِ كالشَجَرَةِ؛ والشَجَرَةُ شيءٌ حَيّ. كَما يَنبَغي أنْ نكونَ "مبنيّينَ" كالمنْزِل. ورُغْمَ أنَّ المَنْزِلَ ليسَ شيئاً حَيّاً إلاّ أنَّهُ يحتاجُ إلى أساسٍ مَتينٍ. ويُخْبِرُنا الرسول بولُس في رسالَة أفسُس بأنَّ الأساس هُوَ يسوع المسيح. فإذا كُنا قَد قَبْلنا المسيح فينبَغي علينا أنْ نَسْلُكَ فيه. لكِن ماذا ينبَغي علينا أنْ نفْعَلَ؟ أنْ نكونَ مُتأصِّلين وأنْ نسْتَمِدَّ حياتَنا مِنْهُ كالشَجَرَة، وأنْ نكونَ مبنيِّينَ فيه بأنْ يكونَ إيمانُنا قائِماً عليهِ هُوَ. لهذا، يُضيفُ الرسولُ بولُس قائِلاً: "وَمُوَطَّدِينَ فِي الإِيمَانِ." فالإيمانُ هُوَ الذي يُبقينا أنا وأنْتَ، عزيزي، راسِخينَ فيه.

ينتَقِلُ الرسول بولُس الآن لمناقَشَة خَطَر الفَلْسَفَة. عدد 8:" اُنْظُرُوا أَنْ لاَ يَكُونَ أَحَدٌ يَسْبِيكُمْ بِالْفَلْسَفَةِ وَبِغُرُورٍ بَاطِلٍ، حَسَبَ تَقْلِيدِ النَّاسِ، حَسَبَ أَرْكَانِ الْعَالَمِ، وَلَيْسَ حَسَبَ الْمَسِيحِ ". "أنظُروا" - أي توخّوا الحَذَر! توقَّفوا، وانظُروا، واسْمَعوا! "أَنْ لاَ يَكُونَ أَحَدٌ يَسْبِيكُمْ بِالْفَلْسَفَةِ وَبِغُرُورٍ بَاطِلٍ." إذا تَتَبَّعْتَ، عزيزي، تاريخَ الفَلْسَفَة مُبتَدِءً بأفلاطون، ومُروراً بالعديدِ مِنْ آباءِ الكنيسَةِ، وُصولاً إلى الأزْمِنَة الأكْثَر حداثَةً (بِما في ذلِكَ الفيلسوف كَنْت، وجون لوك، وبلتمان)، فسوفَ تَجِدُ بأنّ أيّاً مِنْهُم لَم يَكُن لديهِ احتِرامٌ لِوَحْيِ كَلِمَةِ الله. وجميعُهُم كانوا يبحَثونَ عَن إجاباتٍ وحُلولٍ لمشاكِلِ الحياةِ، لكِنَّ هذه الحُلول لَنْ توجَدَ في الفَلْسَفَة.

إنَّ الفيلسوفَ الحقيقيّ هُوَ الباحِثُ عَنِ الحقيقَة. لكِنَّ الحَقيقَةَ ليسَت موجودَةً في الحِكْمَةِ البَشَرِيَّة. فالمسيحُ هُوَ الحَلّ، وهُوَ الجوابُ على الفَلْسَفَة. وقَد كَتَب الرسول بولُس يقول: "وَمِنْهُ أَنْتُمْ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ، الَّذِي صَارَ لَنَا حِكْمَةً مِنَ اللهِ وَبِرًّا وَقَدَاسَةً وَفِدَاءً" (1 كورنثوس 30:1). أمّا الفيلسوف الزائِف فهُوَ يُشبِهُ رَجُلاً أعمى يَبْحَثُ في غُرفَةٍ مُظْلِمَةٍ عَنْ قِطَّةٍ سوداءَ لا وُجودَ لَها - فليسَ هُنالِكَ أمَلٌ في بَحْثِهِ عَنِ الحقيقَة. والرسول بولُس يُنبِّهُ أهْلَ كولوسي أنْ يتوخّوا الحِرْصَ في ذلِك. "حَسَبَ تَقْلِيدِ النَّاسِ." رُبَّما تَذْكُرُ، عزيزي، أنَّ الرَّبّ يسوع أدانَ الحُكّامَ الدينيّينَ في زَمَنِه لأنَّهُم كانوا يُعلِّمونَ تقليدَ الناسِ عِوَضاً عَنْ كَلِمَةِ الله. "حَسَبَ أَرْكَانِ الْعَالَمِ، وَلَيْسَ حَسَبَ الْمَسِيحِ." كَلِمَة "أركان" في اليونانيَّة تَعني الأساس أو المبادئ الأساسيَّة (الألِف باء). يُحاوِلُ بعضُ المسيحيّينَ أنْ يبنوا حياتَهُم المسيحيَّةِ على بَعْضِ المبادئ العالميّة التي تبدو بسيطَةً. لكِنَّ الأساسَ الذي نعتَمِدُ عليهِ نَحْنُ المؤمِنينَ ليسَ الفَلْسَفَة، وَلا مبادئ العالَم؛ بَلْ أساسُنا هُوَ الرَّبّ يسوع المسيح لـه كل المجد من الآن والى الأبد آمين.